السوريون في الولايات المتحدة

(٣)

حالتهم الاقتصادية

﴿ تجارة المصنوعات اليدوية ﴾ السوري تاجر متى استطاع وانما استطاع وعامل ان اضطرتهُ الاحوال . فطرق معاشهِ في الولايات المتحدة تدور بالاكثر على محور واحد هو التجارة ومحور تجارتهِ بالاكثر المطرّزات النفيسة وانواع الطرج والاشغال اليدوية والمستحدثات والملبوسات النسائية المصنوعة باليد

ولقد تدرّج اكثر التجار في نيويورك من مبادىء وضيعة كبيع « الطردوات » في حقائب يحملونها بايديهم ويجولون فيها بين البيوت الى فتح دكاكين صغيرة في شارع وشنطن الى استئجار مكاتب وغرف لعرض بضائعهم في بنايات شاهقة هي قصور اكثر منها بنايات في الافنيو الخامس اجل واغنى سوق للمبيعات في اميركا حيث هم الآن اكبر تجار في الاشغال اليدوية النفيسة ولاسيما ما يسمونهُ المديرا والقلبين ويكادون يحتكرون هذه الاصناف مع صنف الكيمونو (١)

واما الآن وانا اكتب هذه السطور عدد من اعداد جريدة السائح الاخيرة وفيهِ ٣٦ اعلاناً نشرها السوريون الاميركيون منها ١٢ اعلانها عن المستحدثات والمطرّزات اليدوية . واليك مثالاً من هذه الاعلانات يدلك على تعدّد الاصناف التي يتعاطونها من هذا القبيل ننقلهُ بحروفهِ :

« نعلن زبائننا الكرام اننا افتتحنا محلاً في مانيلا بجزائر الفيليبين للمطرزات الاندروير (Underwear) النسائية من قمصان نوم وانقلب شميز (envelopechemise) وكورست كفر (Corset Cover) كذلك ثياب ولادية من انعف الرسمات وابدعها . ايضاً افتتحنا معملاً في يوكوهاما باليابان لصنع البضائع اليابانية من درون ورك (drawn work) ورنصانس (renaissance) واغطية ومكارفات (Scarfs) واغطية فرش . وعندنا دائماً كمية كبيرة من بضائع

(١) الكيمونو جلباب من حرير دقيق تتشح به المرأة في منزلها قبل ان ترتدي ثيابها اللائقة بمقابلة الضيوف وهو ملبوس يابانيالاصل ادخله اليابانيون للولايات ومنهم انتقل الى ايدي السوريين

الكط ورك (Cut work) مع فيله (Filet) وموزايك (mosaic) ومدورا وكلوني وفنيس وارد معاملنا باسعار متهاودة »

وبين الاعلانات المدرجة في هذا العدد اعلان يشير فيهِ صاحبهُ الى معاملهِ في فنشال بمدورا وفنيس بايطاليا ولايوي بفرنسا ويوكوهاما باليابان وشنغاي بالصين وآخر يزيد على كل هذه البلدان بلاد الفلبين

ومن اطلع على ما تنشرهُ المجلة التجارية السورية الاميركية في وصف التجارة السورية في المهاجر الاميركية وما تقلب من ادوار التطوُّر على البيوت السورية التجارية الممتازة بنجاحها ايقن ان السوري الاميركي يسجل في تاريخ المهاجرة والاستهار صفحة لم يخط احد من السوريين ابهى وامجد منها وربما لم يسبقهُ قوم آخر سوى ابناء عمهِ الشعب اليهودي . ولدى التعمق في سير التجار المتفوقين الذين اتت تلك المجلة على ذكرهم يتبين انهُ يمكن تحليلها كلها وارجاعها الى امر واحد وهو ان الشاب كان يصل الى نيويورك فقيراً معدماً فيبيع « بالكشة » او « الجزدان » ثم يتعلم الانكليزية ويمدى بجرثومة الحياة الاميركية فيستخدم في محل تجاري او يفتح حانوتاً صغيراً في شارع ضيق ثم يتوسع في العمل وينشىء شركة تجارية في شارع كبير وينمو نموّاً تجاريًّا مطرداً فيفوز فوزاً باهراً بفضل اجتهادهِ وامانتهِ . تلك هي الدرجات في سلم ترقي كل واحد تقريباً من المهاجرين الممتازين

﴿ معاملهم ﴾ للسوريين معامل يصطنعون فيها كل اصناف الكيمونو التي يتعاطون بيعها . ولهم منها في مدينة نيويورك وما جاورها خمسة وثلاثون معملاً وهم ايضاً يعملون الجانب الاكبر من المطرّزات التي يتاجرون بها لاسيما ما كان منها من نوع المدورا والفلبين . وكان في العام الماضي احد المحالّ التجارية السورية يرسم خارطة العالم في اعلانهِ ليبين مواقع معاملهِ الجغرافية . ويظهر من تقرير رفعهُ قنصل اميركا في مدورا بتاريخ ٢٩ ت٢ سنة ١٩٠٩ ان صناعة الخرج في تلك الجزيرة اصبحت في يد السوريين الاميركيين بعد ان كانت قبل الحرب في يد الالمان . ثم قال ان في مدورا خمسة وثلاثين معملاً واربعة عشر منها اصبح اصحابها سوريين

﴿ البائع الدوّار ﴾ هذا هو حلقة الاتصال بين التاجر المقيم في مخزنهِ والمرأة التي تبتاع البضائع في بيتها . وهو الاس المتين المشيّد عليهِ بناء التجارة

السورية باسرها. ولهُ الفضل الاعظم على نشوء التجارة السورية وتقدُّمها . ولطالما نظر اليهِ السوريون والاميركيون نظر الازدراء والاحتقار وربما كان لهم فيما مضى بعض العذر عند ما كان البائع يقف امام الشاري وهو جاهل لغتهُ وعوائدهُ فيظهر بمظهر المستعطي . اما الآن فقد اصبح بائع الكشة كمتمد او ممثل للمحال التجارية يحمل بضائع خفيفة هي بالاكثر من نوع المساطر (العيّنات) ولا يقضي المنازل على غير هدى بل لهُ زبائن يعرفهم ويعرفونهُ ولا يستنكفون من حسبانهِ صديقاً لهم . ومن هذا القبيل السورة التي ظهرت حديثاً في الجرائد السورية الاميركية وفيها رسم الرئيس هاردنغ والى جانبهِ رجل سوري زائر فان بعضهم اكّد لي ان السوري بائع كان يتردد على بيت هاردنغ لما كان عضواً في مجلس الشيوخ

﴿ السمّانة او البقّالة ﴾ يقيمون غالباً في مدن الداخلية ويتعاطون بيع الخضر والاثمار ولوازم الطبخ والاكل وفي بعض الاحيان المرطبات والحلويات وهم في ذلك ينافسون الايطاليين واليونان . وفي مدينة فلنت برلاية ميشيغن (Flint, Mich.) تاجر درزي له خمسة عشر مخزناً ومنزلته الثالثة بين بقالة الولاية

ومن المدن التي يكثر منها البقّالة السوريون مدينة ديترويت ويقال انها تحوي على ٣٠٠ تاجر منهم

وربما لم يكن بين العالم الجديد مدينة تفوق حلوياتها مدينة فيلادلفيا . والغريب ان من اشهر معامل تلك المدينة معملاً صاحبهُ سوري لهُ نحو اثني عشر مخزناً للبيع بالتفاريق

﴿ المصدّرون ﴾ كان من نتائج الحرب العظمى ان انقطعت العلائق التجارية بين الجمهوريات الاميركية الجنوبية وبين البلدان الاوربية الغربية واخصها المانيا التي كانت تعتمد عليها تلك الجمهوريات في استيراد بضائعها . فحوّل تجار اميركا الجنوبية انظارهم نحو الولايات المتحدة ووجدوا في التجار السوريين المقيمين بينهم خير وسيط لتعريفهم بسوق الولايات المتحدة عن يد ابناء جنسهم فيها وبذلك تمت حلقة الاتصال بين السوق التجارية في اميركا الجنوبية والسوق التجارية في اميركا الشمالية . وللحال انشأ عدد من سوريي الولايات المتحدة مكاتب للعمولة وتصدير البضائع كان لهم من ورائها ارباح باهظة

ويقول العارفون ان ثروة السوريين في الولايات المتحدة تضاعفت في اثناء الحرب . ولا نبالغ اذا قلنا ان الجالية السورية النيويوركية اصبحت اغنى الجاليات السورية في المهاجر . اما بعد الحرب فحدث اضطراب مالي وجمود صناعي تجاري في السوق الاميركية وهو ردّ فعل للسعة العظيمة التي تمتعت بها الولايات المتحدة بما رافقها من الاسراف والاستهانة بقيم الاشياء ولا بد ان تستمر هذه الايام العصيبة سنة او اكثر حتى يستعيد العالم توازنهُ ويألف الحالة الجديدة الناشئة عن اضرار الحرب

﴿ العمال ﴾ قلّ من السوريين من يستخدم في المعامل والمصانع الا اضطراراً واكثر هؤلاء يشتغلون في معامل القطن والصوف في لورنس وفال رفر ولول ونيو بدفرد من اعمال ماستشوستس وفي معامل الاواني الفضية والنحاسية والساعات والاسلحة في وتربري وبردجبورت ونيوهافن من اعمال كونتيكت والحديد والفولاذ في بتسبرغ بنسلفانيا والسيارات (الاتومبيلات) في ديترويت (مشيغن) وكليفلند (اوهيو) والحرير في بطرسن وهبوكن من اعمال نيوجرزي. وفي زمن الحرب وضعت الحكومة يدها على اكثر هذه المعامل وحوّلتها الى مصانع اسلحة وذخائر ورفعت اجور العمال الى الخمسة ريالات فما فوق في النهار فازداد بذلك عدد النملة من السوريين عن الحالة الطبيعية

ويظهر ان العمال السوريين يتفوقون في الاشغال التي لا تستلزم اجساماً كبيرة من مثل غزل الحرير وحياكته فانهم يتقاضون في هذه الصناعة اجوراً تزيد عن اجور غيرهم من العمال . ومما جاء في تقرير لجنة للهاجرة (٢) ان احد اصحاب معامل الحرير في نيوجرزي قال بوجود « غريزة الحياكة » في السوريين وهو يفضلهم كل من سواهم من الشعوب

ويقدر بعضهم ان ثمانين في المئة من سوري وست هبوكن وبطرسن (نيوجرزي) حاكة حرير

اما عدد السوريين الذين يشتغلون في المقالع والحفريات والسكك التي تحت الارض فانهُ دون التقليل . وربما كان السبب في ذلك تعوّدهم عيشة الخلاء والهواء

(٢) "Reports, Immigration Commission" مجلد ١٠ ص ٤٤٦

التي في بلادهم بحيث يصعب عليهم العمل في جوف الارض . على ان افراداً منهم يشتغلون في مناجم الفحم وآبار البترول في ولايات وست ڤرجنيا وتكساس واكلاهوما . وهم على العموم يستنكفون من الاشغال الشاقة كبناء الجسور وتخطيط الطرق وتشييد البنايات الى غير ذلك من الحرف التي يقبل عليها الايطاليان الى ان يكادوا يحتكرونها . والسوري الوحيد الذي رأيتهُ وبيده معول كان عاملاً على خط حديدي لشركة طحن كبيرة في مدينة منيابوليس (ميناسوتا)

﴿ الزراعة ﴾ الاجانب عموماً والسوريون خصوصاً يأنفون من الاعمال الزراعية في الولايات . ولذلك اسباب بينة اهمها انفراد المزارع الاميركية ووحشتها وبعدها بعضها عن بعض وعن اماكن العبادة والحاجة الشديدة لمعرفة اللغة الانكليزية فيها والحاجة الى رأسمال في استئجارها او شرائها وتعذّر وجود المآكل المألوفة فيها . وكثيراً ما أنحى الوطنيون باللائمة على الاجانب لاجتماعهم وازدحامهم في المدن التجارية والصناعية ولاعراضهم عن العمل في الاراضي الفسيحة المهملة الخالية من السكان ونسبوا لهم الجهل وقصر النظر . ولا نشك في ان بعض كتبتهم كانوا بذلك مدفوعين بعامل الحسد من نجاح الغرباء بينهم في التجارة والصناعة ومسابقتهم الشديدة للوطنيين

ورغم ذلك وجدت بعد البحث ان عالم الزراعة ليس كلهُ خالياً من الايدي السورية العاملة ففي خط أونيدا نيويورك خمسة وعشرون في المئة من المزارعين سوريون . وفي نورث كارولينا عدد منهم يشتغل بزراعة القطن وفي ڤرجنيا بزراعة التبغ . ويكثر عدد الفلاحين السوريين في اواسط الولايات المتحدة حيث يزرعون الحبوب وفي غربيها حيث تكثر الخضر والبقول والفواكه . ولقد ذكرت مسز هوطن في سلسلة مقالات نشرتها في مجلة الصرفاي (٣) ان في ولاية نورث كارولينا وحدها لا اقل من ثمانمئة مزرعة سورية . وفي نبراسكا وكنساس ومنتانا وويومنغ ووشنطن من الولايات الغربية آلاف غيرها

﴿ حرف شتى ﴾ قلنا ان معظم السوريين الاميركيين يتعايشون من التجارة وبعضهم من الصناعة والزراعة والحال انهُ ليس من سبيل للمعاش لم تطأهُ ارجل

(٣) سنة ١٩١١ وسنة ١٩١٣ Mrs Houghton "The Survey"

السوريين ولا من باب للارتزاق لم تطرقهُ ايديهم ففيهم الصراف والمدين والمضارب ومنهم البوليس والجندي والبحري والاسكاف والحداد وسائق العربات وبينهم القس والمعلم والصحافي والمحامي والطبيب — الى آخر ما هنالك مما لا يقع تحت حدّ او حصر . وعثرت مرة في نصف ليل من ليالي الشتاء القارسة في محطة القطار في البتي على حارس ليلي من بيروت وفي ديبوك (ايوا) على دمشقي يدهن خشب القطارات

ومن امتاز بينهم في الفنون الجميلة موسيقي عُرف في طول البلاد وعرضها وحاز شهرة وطنية بادخاله الانغام العربية الى العالم الغربي . ومن منظوماته انشودة « لاجلك يا اميركا » (For Thee, America) اختارها المجلس التهذيبي في نيويورك وغيره من المجالس التهذيبية في البلاد وجعلوها الاغنية الرسمية لتلامذة المدارس العمومية . وفي العام الماضي ادهش فتى سوري لم يتجاوز العقد الثاني من سنيهِ موسيقيي نيويورك بتفننهِ وبراعتهِ على البيانو في حفلة اقامها في قاعة الموسيقى الكبرى للمدنية . ومنذ ثلاثة اعوام عرضت صور رسام سوري في متحف شوير على الافنيو الخامس من مدينة نيويورك واستوجبت اعجاب المصوّرين الفنيين من الاميركان

وفي اللائحة التالية بيان لانواع الحرف التي يحترفها الاعضاء العاملون في جمعية سورية واحدة في نيويورك ومنها يستدلّ على التنوّع المتباين في الاعمال التي يباشرها قومنا هنالك :

تجار	٦	مهندسون	٢	محامون	١
اطباء	٣	مسكة دفاتر	٢	معدرو بضائع	١
اطباء اسنان	٣	معلمون	١	قس	١
تلامذة	٢	صيادلة	١	ممثلو شركات الحياة	١

فمجموع عدد الحرف ١٣ ومجموع عدد الاشخاص ٢٤

﴿ مستوى المعيشة ﴾ السوري اينما كان ينفق على اكلهِ اكثر مما ينفق على فرش بيتهِ ولبسهِ . وكتاب الطبخ الذي سطّر فيهِ عيسو اول وصفة لضبخ العدس لم يزل بين يدي السوري الى اليوم يرافقهُ اين حلّ وكيف توجّه . فهو يهوى

عليهِ التلبس بعوائد القوم الذين يساكنهم ومجاراتهم في كل شيء ما عدا الاكل . ومن مآكلهِ التي لم يزل محافظاً عليها منذ ايام سليمان الحكيم آكلة الكبيبة التي كان سليمان مولعاً بها على ما يظهر والاّ فكيف خطر في بالهِ هذا التصور اذ قال

« ان دققت الاحمق في هاون بين السميذ بمدقّ لا تبرح عنهُ حماقتهُ »(٤)

ويهم السوري بالاجمال الظهور بمظهر لائق فهو من حيث اللبس لا يقلّ عمن يوازيهِ من سائر الامم في الطبقة الاجتماعية . اما فرش بيتهِ وترتيبهُ فليس عموماً على ما يجب ان يكون . وما يصرفهُ على المسليات والملاهي قليل لا يعتبر

وفي مدينة نيويورك العظمى لا اقل من اثني عشر مطعماً يجد فيها السوري ما يجد في اي مطعم كان من مطاعم سوريا ومصر

﴿ عدد المنتجين في العائلة ﴾ المسؤولية المالية هي في الدرجة الاولى ملقاة على عاتق الرجل الاّ ان المرأة كثيراً ما تشاركهُ في حملها . وبذلك تختلف المرأة السورية المهاجرة عن اختها المتخلفة . واني اعرف بيوتاً تقوم النساء فيها بأود العائلات وذلك باستخدامهن في معامل الخياطة والتطريز او في تعاطي البيع « بالجزدان » او بمسك الدفاتر والشغل على الكاتبة (typewriter) . ولا انسى امراة سورية عرضت عليّ مرة شراء غطاء للمائدة مفروش على يدها حال نزولي من القطار المرتفع (الذي يسير فوق الاسواق) في ليلة مثلجة قارسة البرد من ليالي اسبوع عيد الميلاد وهي واقفة جامدة في اسفل درج المحطة بينما آلاف المارّة كانوا يتراكضون الى بيوتهم وهم ملتفون بالاردية الصوفية الثقيلة

اما الاولاد السوريون فانهم في الغالب يواظبون على حضور مدارسهم وفي ساعات الفراغ يبيعون الجرائد في الشوارع او يباشرون اعمالاً اخرى في المخازن لا تقتضي استعداداً خصوصيًّا وعناء. ويظهر من تقرير(٥) وضعتهُ لجنة المهاجرة بعد درسها احوال اولاد المهاجرين والوطنيين دون السادسة عشرة في سبع مدن وهي نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا وبوسطن وكليفلند وبفالو وملواكي ان ٢٥٢ بالمئة من الاولاد السوريين في العمل و٣٥٣ في البيت و٩٤٫٥ في المدرسة بينما

(٤) امثال ٢٧ : ٢٢ (٥) = لد ١ ص ٧٦٣ Reports

المعدل من المهاجرين غيرهم ومن الوطنيين ٧٫١ بالمئة في العمل و٨٫٦ في البيت و٨٤٫٣ في المدرسة

﴿ التوفير ﴾ مقدرة السوري على الاقتصاد والتوفير امر اجمع عليه كل من خالطهم واستوجب ثناء كل من درس احوالهم

ولكثير من المعاهد الاميركية كمجالس التهذيب وجمعيات الشبان والشابات المسيحية موظفون يطلق عليهم لقب مدبري الاجتماعيات او كتبة التأمرك وظيفتهم مساعدة الاجانب على تحصيل اللغة الانكليزية ومبادىء المدنية الاميركية وطرق الحصول على رعويتها ومسائل تدبير المنزل الى غير ذلك مما يسهل على الغريب امر الاندماج في المجتمع الجديد . ولقد كثر عدد هؤلاء الموظفين في اثناء الحرب لما شعرت الامة الاميركية بضرورة اندماج كل الاجانب فيها حفظاً لسلامتها وكيانها.

ولقد استجوبت كتابة كل من كان من هؤلاء يشتغل بين السوريين فكانت شهادة الجميع ان السوري عامل نشيط مقتصد موفر يحب المعيشة البيتية ولا يميل الى اللهو والاسراف . فنتائج ذلك ظاهرة في قلة عدد الذين يلجأون منهم الى الجمعيات الخيرية لطلب المعونة . ففي القسم الشرقي من مدينة نيويورك حيث يعيش البؤس وتكثر الشرور فرع لجمعية الشبان المسيحيين مخصص للفقراء والمعدمين والمكبرين يتردّدون اليه للاكل والنوم وايجاد الاعمال . ولقد أكد لي سكرتيرهُ ان في تاريخ ذلك المعهد لم يدخلهُ رجل سوري . وبعد مخابرة المنشآت الخيرية التي انشأتها الحكومة وجمعيات الاحسان في ولاية نيويورك تبين لي انهُ لم يكن في ربيع العام الفائت من السوريين احد عالة عليها . وهذا تعريب فقرة من جواب جمعية الاحسان النيويوركية « يستدل من تقاريرنا اننا في السنة التي انتهت في ٣٠ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٧ كنا نعتني بتسعة رجال وثلاث عشرة امرأة من الارمن والسوريين . ونرجح ان اكثرهم كانوا ارمناً لا سوريين »

ومن خصائص السوري الاميركي انهُ لدى الحاجة يفضل الالتجاء الى بني جنسهِ على الالتجاء الى الغير لذلك تجد تقارير جمعيات الاحسان الاميركية خالية كلها تقريباً من اسمهِ

ستأتي البقية فيليب حتي